

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى



مصعب
بن عمير

فانيس محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ١

مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ

بقلم

نانيس محمد عزت

الناشر

مكتبة مصر

بمقر وزارة المعارف
شارع كامل صدق - الفيحة

٥٩٠٨٩٢٠٥

مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ

وقفَ حُسَامٌ ينظرُ إلى صورتهِ في المرآة ،
ويتأملُ ملبسَهُ الجديدةَ في سعادةٍ وسُرورٍ ،
فاليومَ أوَّلُ أَيَّامِ عيدِ الفِطْرِ ، وهو يرتدى بذلتهِ
الجديدةَ الَّتِي اشترَاها له والدُّهُ . وسوفَ يحضرُ
عَمَّهُ وابنتا عَمِّهِ ليذهَبوا جميعًا في رحلةٍ نيليةٍ إلى
القناطرِ الخيريةِ .

ودُقَّ جرسُ البابِ فجريَ لِيُفتَحَهُ ، وقالَ
مُهَلَّلًا : جاءَ عَمِّي يا أبى ، ومعه بنتاهُ هُدى
وسَميحةُ . أسرعْ من فضلكَ يا أبى حتَّى نذهبَ
ونتفرَّجَ بزيارةِ الحدائقِ في القناطرِ .

قال عُمُّه : كُلَّ سَنَةٍ وَأَنْتَ طَيِّبٌ يَا حُسَامُ .

ما هذه المَلَابِسُ الْجَمِيلَةُ ! أَهِيَ مَلَابِسُ الْعِيدِ ؟

قال حُسَامٌ فَرِحًا : نَعَمْ يَا عَمِّي هِيَ مَلَابِسُ

الْعِيدِ ، وَقَدْ اشْتَرَاهَا لِي أَبِي . أَأَعْجَبَتْكَ يَا عَمِّي ؟

قال عُمُّه : نَعَمْ هِيَ جَمِيلَةٌ جَدًّا ، وَلَكِنْ يَجِبُ

أَلَّا تَكُونَ هِيَ كُلُّ هَمِّكَ فِي الْحَيَاةِ . أَلَمْ تَعْرِفْ

قِصَّةَ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ يَا حُسَامُ ؟

قال حُسَامُ : سَمِعْتُ أَنَّهُ أَحَدُ الْمُسْلِمِينَ

الْأَوَائِلِ ، وَلَكِنْ مَا هِيَ قِصَّتُهُ يَا عَمِّي ؟

قال عُمُّه : سَوْفَ أَحْكِيهَا لَكُمْ وَنَحْنُ فِي

الْمَرْكَبِ فِي طَرِيقِنَا إِلَى الْقَنَاظِرِ .

* * *

وَجَلَسُوا جَمِيعًا فِي الْمَرْكَبِ الشَّرَاعِيِّ

يَتَسَامَرُونَ وَيُضْحَكُونَ بَيْنَ وَقْتٍ وَآخَرَ ، فَكُلُّهُمْ
سُعْدَاءُ بِمُنَاسَبَةِ الْعِيدِ ، إِذْ قَالَ حُسَامُ :

— احكِ لَنَا قِصَّةَ « مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ »
يَا عَمَى ، كَمَا وَعَدْتَ .

قَالَ وَالِدُ حُسَامَ : إِنَّكَ لَا تَمَلُّ الْقِصَصَ أَبَدًا
يَا حُسَامُ .

فَضَحِكُوا جَمِيعًا ، وَقَالَ عَمُّهُ :

— إِنَّ قِصَّةَ « مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ » قِصَّةٌ
مُفِيدَةٌ ، وَمَلِيَّةٌ بِالْمَوَاقِفِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْإِيمَانِ
الْعَمِيقِ ، وَالتَّضَحِّيَةِ النَّبِيلَةِ . وَسَوْفَ تُعْجِبُكُمْ
جَمِيعًا فَاسْمَعُوا :

نَشَأَ « مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ » فِي رُبُوعِ مَكَّةَ
الْمَكْرَمَةِ ، وَكَانَ مِنْ أَكْثَرِ فِتْيَانِهَا جَمَالًا وَبَهَاءً ،

وَكَانَ قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَالدِّيَّةَ ، مُنْعَمًا مُدَلَّلًا ، لَا يَلْبَسُ
إِلَّا الْحَرِيرَ ، وَلَا يَتَعَطَّرُ إِلَّا بِأَفْخَرِ الْعُطُورِ .

سَمِعَ مُصْعَبٌ بِأَمْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاسْتَمَعَ إِلَى آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ ، فَكَانَتِ اللَّحْظَةُ الْمَوْعُودَةُ .. لَحْظَةً
دُخُولِ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ . فَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَعْلَنَ
إِسْلَامَهُ أَمَامَ النَّبِيِّ ، وَلَكِنَّهُ كَتَمَهُ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ
جَمِيعًا ، لَا خَوْفًا مِنْهُمْ ، وَلَكِنْ خَوْفًا مِنْ أُمِّهِ ،
فَقَدْ كَانَتْ أُمُّهُ « خَنَاسُ بِنْتُ مَالِكٍ » قَوِيَّةً
شَدِيدَةً ، يَهَابُهَا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ .

قَالَتْ سَمِيحَةٌ : يَا سَتَارُ يَا رَبَّ ! أَتَوْجَدُ امْرَأَةً
فِي الْوُجُودِ عَلَى شَاكِلتِهَا ؟

قَالَ أَبُوهَا : اسْمَعِي قِصَّتَهَا أَوَّلًا ، ثُمَّ احْكُمِي

عَلَيْهَا بِمَا تَرَيْنَ .

* * *

اِفْتَضَحَ أَمْرُ مُصْعَبٍ ، وَغُرِفَ إِسْلَامُهُ عِنْدَمَا
رَأَاهُ « عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ » يَدْخُلُ بَيْتَ الْأَرْقَمِ ،
وَيُصَلِّي صَلَاةَ مُحَمَّدٍ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ نَقَلَ خَبَرَ
إِسْلَامِهِ إِلَى أُمِّهِ ، فَجُنَّ جُنُونُهَا وَهَاجَتْ وَمَاجَتْ
وَهَمَّتْ بِأَنْ تَصْفَعَهُ عَلَى وَجْهِهِ لَوْلَا حُبُّهَا إِيَّاهُ ،
وَلَوْلَا قَلْبُ الْأُمِّ فِي صَدْرِهَا الَّذِي مَنَعَهَا دُونَ ذَلِكَ .
فَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَّا أَنْ حَبَسَتْهُ فِي حُجْرَةٍ فِي
مَنْزِلِهَا وَشَدَّدَتْ عَلَيْهِ الْحِرَاسَةَ ، وَلَكِنْ مُصْعَبًا
اسْتَطَاعَ أَنْ يُغَافِلَ حُرَاسَهُ وَيَهْرُبَ إِلَى الْحَبَشَةِ .
وَبَعْدَ فِتْرَةٍ عَادَ إِلَى مَكَّةَ ، وَأَرَادَتْ أُمُّهُ أَنْ تُجَدِّدَ
حَبْسَهُ ، لَوْلَا أَنْ أَقْسَمَ لَهَا لَيَقْتُلَنَّ كُلَّ مَنْ تُكَلِّفُهُ

بِحِرَاسَتِهِ . وشعرت أمه بصدق عزمه فتركته
لِحَالِهِ ، وَلَكِنَّهَا حَرَّمَتْ عَلَيْهِ مَالَهَا وَمَا كَلَّهَا .

وعرف مُصْعَبُ حَيَاةَ الزُّهْدِ وَالتَّقَشُّفِ
وَالْحُشُونَةِ ، بَعْدَ حَيَاةِ النُّعِيمِ وَالْخِيَلَاءِ ، فَلَبِسَ
أَخْشَنَ أَنْوَاعِ الْأَقْمِشَةِ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ لَا يَلْبَسُ إِلَّا
أَفْخَرَ أَنْوَاعِ الْحَرِيرِ ، وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ كَارِهًا أَوْ
مُتَضَرِّرًا بَلْ فَعَلَهُ عَنْ نَفْسٍ رَاضِيَةٍ سَعِيدَةٍ .
وَأَصْبَحَ لَا يُرَى إِلَّا فِي أَخْشَنِ الْمَلَابِسِ ، يَأْكُلُ
يَوْمًا وَيَجُوعُ يَوْمًا ، حَتَّى إِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَاهُ يَوْمًا فَقَالَ : (لَقَدْ رَأَيْتُ مُصْعَبًا
هَذَا وَمَا بِمَكَّةَ فَتَى أَنْعَمُ عِنْدَ أَبَوَيْهِ مِنْهُ ، ثُمَّ تَرَكَ
ذَلِكَ كُلَّهُ حُبًّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) .

وهاجر مُصْعَبُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الْحَبَشَةِ ، مَعَ

الصَّحَابَةُ الَّذِينَ أَمَرَهُمُ الرَّسُولُ بِالْهَجْرَةِ ، ثُمَّ عَادَ
بَعْدَ ذَلِكَ لِيُمارِسَ أَعْظَمَ عَمَلٍ قَامَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ ،
فَقَدْ كَانَ مُصْعَبٌ أَوَّلَ سَفِيرٍ لِلْإِسْلَامِ .

إِذْ جَاءَ عِنْدَ الْعَقَبَةِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمَدِينَةِ ،
وَاسْتَمَعُوا إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَأَمَنُوا بِهِ . فَمَا كَانَ مِنَ الرَّسُولِ إِلَّا أَنْ بَعَثَ
مَعَهُمْ مُصْعَبًا لِيُعَلِّمَهُمْ تَعَالِيمَ دِينِهِمْ ، عَلَى الرُّغْمِ
مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ أَكْبَرَ الصَّحَابَةِ سِنًا ، وَلَا أَفْضَلَهُمْ
مَرَكَزًا .

وَقَدْ كَانَ « لِمُصْعَبٍ الْخَيْر » — كَمَا كَانَ
يُسَمِّيهِ الرَّسُولُ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —
الْفَضْلُ فِي انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ فِي الْمَدِينَةِ ، فَقُوَّةُ
إِيمَانِهِ ، وَرَجَاحَةُ عَقْلِهِ ، وَقُدْرَتُهُ الْكَبِيرَةُ عَلَى

الإقناع ، كان لها أكبر الأثر في نجاح مهمته .
نزل مُصعبٌ في المدينة في ضيافة أسعد بن
زَرارة ، فكانا يطوفان على كل القبائل والأحياء
لنشر الدعوة ، وتعليم الناس تعاليم دينهم
الجديد .

وفي يوم وهو يعظ الناس ، فاجأه سيد بنى
عبد الأشهل - أسيّد بن حُضير - وكان الشررُ
يتطاير من عينيه ، وفي يده حربته ، متوعدًا
مُصعبًا وزَرارة ، وقال لهما غاضبًا : ما الذى
جاء بكما عندنا ؟ ارحلا وإلا قضيتُ عليكما .
فخاف الجميع من أسيّد إلا مُصعبًا ، فقد لقيه
مُبتسمًا مطمئنًا وقال له :

- أولاً تجلس فتسمع ، فإن أعجبك قولنا

قَبِلْتُ ، وَإِنَّ لَمْ يُعْجِبْكَ نَرْحَلْ عَنْكَ .

اِقْتَتَعَ أَسِيدُ بَكْلَامٍ مُصْعَبٌ ، وَجَلَسَ لِيَسْتَمَعَ
إِلَى الْقُرْآنِ وَإِلَى تَعَالِيمِ الدِّينِ الْجَدِيدِ ، وَسَرَّعَانَ
مَا انْقَلَبَ الْغَضَبُ إِلَى تَهْلُلٍ ، وَلَانَتْ سَرِيرَتُهُ ،
وَقَالَ لِمُصْعَبٍ : مَاذَا أَفْعَلُ لَأَدْخُلَ فِي هَذَا الدِّينِ ؟
أَجَابَهُ مُصْعَبٌ : تَتَطَهَّرُ وَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ .

وَمِثْلَمَا آمَنَ أَسِيدُ آمَنَ كَثِيرٌ مِنَ السَّادَةِ
وَالْعُظَمَاءِ ، كَمَا تَلَا ذَلِكَ بِالطَّبْعِ إِسْلَامُ الْكَثِيرِينَ
مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ .

لَقَدْ نَجَحَ مُصْعَبٌ فِي مُهِمَّتِهِ نَجَاحًا بَاهِرًا .
فَبِتَوَاضُعِهِ وَرَجَاحَةِ عَقْلِهِ وَقُوَّةِ إِيْمَانِهِ ، اسْتَطَاعَ
أَنْ يَنْشُرَ الْإِسْلَامَ فِي الْمَدِينَةِ .

قال حُسام : ما أعجبَ هذا ! شخصٌ واحدٌ
يَنجَحُ فيما لا يَسْتَطِيعُهُ عَشْرَاتُ الرِّجال !
قال أبوه : نعم . يَنجَحُ إِنْ كَانَ لَهُ مِثْلُ إِيمانِ
مُصْعَب .

واستمرَّ عَمَّهُ :

وفى العامِ التَّالى عادَ مِنَ المَدِينَةِ إِلَى العَقَبَةِ بِمَكَّةَ ،
ومعه اثْنانِ وَسَبْعُونَ رَجُلًا لِيُبايَعُوا الرُّسُولَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الإِسْلامِ ونُصرةِ الدِّينِ .
لَقَدْ فَتَحَ مُصْعَبٌ أَبْوابَ المَدِينَةِ عَلَى مُصْرَاعِهَا
أَمامَ الرُّسُولِ ، وأَصْبَحَتِ المَدِينَةُ هِيَ الدَّارَ الآمِنَةَ
الَّتِي يَأْمَنُ فِيهَا الصَّحابةُ والرُّسُولُ عَلَى دِينِهِمْ .
إلى أَنْ هاجَرَ الرُّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى
المَدِينَةِ ، وانتَشَرَ فِيهَا الإِسْلامُ .

وشارك مُصْعَبٌ فِي الْغَزَوَاتِ مَعَ الرَّسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. شارك فِي غَزْوَةِ بَدْرَ ،
ثُمَّ فِي غَزْوَةِ أُحُدَ ، وَكَانَ لَهُ مَوْقِفٌ يَدُلُّ عَلَى
شَجَاعَةٍ وَإِيمَانٍ لَا نِهَايَةَ لَهُمَا ، فَعِنْدَمَا خَالَفَ
الرُّمَاءُ أَمْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَرَكَوْا
مَوَاقِعَهُمْ مِنَ الْجَبَلِ ، اسْتَغَلَ الْكُفَّارُ تِلْكَ الْفُرْصَةَ
وَانْقَضَوْا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ هَدْفُهُمْ قَتْلَ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى يَقْضُوا عَلَى الدِّينِ
فِي مَهْدِهِ .

عَرَفَ مُصْعَبٌ غَرَضَ الْكُفَّارِ ، فَأَرَادَ أَنْ
يَشْغَلَهُمْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَأَمْسَكَ اللَّوَاءَ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى وَالسَّيْفَ فِي يَدِهِ
الْأُخْرَى ، وَدَخَلَ فِي صُفُوفِ الْأَعْدَاءِ لَا يُبَالِي

شَيْئًا سِوَى لَفْتِ أَنْظَارِ الْكُفَّارِ إِلَيْهِ ، وَحَجْبِهَا عَنِ
الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَدْ كَانَ لَهُ مَا أَرَادَ ، فَضَرَبَ «ابْنُ قُمَيْئَةَ»
يَدَهُ الْيُمْنَى فَقَطَعَهَا ، فَحَمَلَ اللَّوَاءَ بِيَدِهِ الْيُسْرَى
فَقَطَعَهَا أَيْضًا ، فَحَمَلَ اللَّوَاءَ بَيْنَ عِضْدَيْهِ ، حَتَّى
أَصَابَهُ رُمَحٌ فَأَرْدَاهُ قَتِيلًا .

وَلَمَّا انْتَهَتْ الْمَعْرَكَةُ جَاءَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ ، يَتَفَقَّدُونَ أَرْضَ الْمَعْرَكَةِ .
فَعِنْدَمَا رَأَى الرَّسُولُ مُصْعَبًا سَالَتْ دُمُوعُهُ
غَزِيرَةً ، وَقَالَ : (مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا
عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) .

وَلَمْ يَجِدُوا كَفَنًا لِمُصْعَبٍ سِوَى قِطْعَةٍ قِمَاشٍ

صَغِيرَةً ، إِذَا غَطَّوْا بِهَا رَأْسَهُ تَعَرَّتْ رِجْلَاهُ ، وَإِذَا
غَطَّوْا بِهَا رِجْلَيْهِ تَعَرَّى رَأْسُهُ ، فَقَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : غَطُّوا رَأْسَهُ ، وَاجْعَلُوا
عَلَى رِجْلَيْهِ بَعْضَ الْحَشَائِشِ .

ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ فِي أَسَى وَقَالَ : لَقَدْ كُنْتُ فِي
مَكَّةَ مَا أَبْهَى مِنْكَ وَلَا أَرْقَ حُلَّةً مِنْكَ ، ثُمَّ
هَا أَنْتَ ذَا شَعَثُ الرَّأْسِ فِي بُرْدَةٍ .

* * *

نَظَرَ حُسَامٌ إِلَى بَدَلَتِهِ الْجَدِيدَةِ فِي تَعْجُوبٍ
وَأَنْدِهَاشٍ ، وَأَحَسَّ الْعَمُّ بِمَا يَدُورُ فِي رَأْسِ
الْغُلَامِ ، فَقَالَ لَهُ :

— إِنَّ لُبْسَ الْمَلَابِسِ الْجَدِيدَةِ لَيْسَ مَكْرُوهُهَا
أَوْ مَذْمُومًا ، وَلَكِنْ يَجِبُ إِلَّا تَغُرَّنَا تِلْكَ الْمَلَابِسُ

أَوْ نَشْعُرَ بِأَهَمِّيَّتِهَا ، فَلَيْسَتْ هِيَ الَّتِي تُضْفِي عَلَيْنَا
الْأَهَمِّيَّةَ ، بَلْ عَمَلُنَا وَسُلُوكُنَا وَقُوَّةُ إِيمَانِنَا
وَشَخْصِيَّتُنَا .

* * *

فَرِحَ حُسَامٌ بِقِصَّةِ مُصْعَبِ الْخَيْرِ - مُصْعَبِ بْنِ
عُمَيْرٍ - وَقَالَ لَعَمْرُوه : لَقَدْ وَعَيْتُ قِصَّتَكَ ،
وَاسْتَفَدْتُ مِنْهَا كَثِيرًا يَا عَمِّي .

وَقَالَتْ هُدَى وَسَمِيحَةٌ : وَنَحْنُ أَيْضًا وَعَيْنَاهَا ،
وَاسْتَفَدْنَا مِنْهَا .

قَالَ أَبُوهُمَا : وَاطْبُوا جَمِيعًا عَلَى الْقِرَاءَةِ ،
فَفِيهَا كُلُّ الْمُنْعَةِ ، وَفِيهَا كُلُّ الْفَائِدَةِ .